الوضعية المهنية للمعلم في سياق الإصلاح التربوي
دراسة ميدانية على عينة من معلمي المدارس الابتدائية

أ.فاتحي عبد النبي
جامعة محمد خيضر- بسكرة/ الجزائر

ملخص:

حدث في العشرين سنة الأخيرة تحول في المشهد التربوي، تمثل أساسا في تغيير الباحثين لمجالات اهتمامهم وابتعادهم عن الخوض في العديد من المواضيع من مثل الأهداف التربوية، والنقاش الساخن حول موضوع السلطة والنظام داخل المؤسسات التعليمية... فاتجهت البحوث للانشغال ببعض القضايا الجديدة القديمة،من مثل قضية التمركز حول المتعلم وموضوع طبيعة التعلم وآلياته،والعودة للاهتمام مجددا بالمعرفة وبمحتويات التدريس وبالتنظيمات المنهاجية لمضامينه وغيرها....سنعمل في هذه المداخلة على إلقاء الضوء على الواقع المهني للمعلم وإظهار واقع الخطاب على أرضية الميدان.

Résumé

La nouvelle réforme de la pédagogie en Algérie, a connu une véritable transformation pendant les vingt années dernières.les socio pédagogues, au lieu de s'intéresser aux adjectifs pédagogiques a et de traiter un débat vif autour des sujets comme la pouvoir et le système dans les établissements scolaiar.ils ont changé leurs orientations (leurs but cible ou vise) de penser a ce domaine.

Heurs recherches s'occupent et basées seulement sur: l'apprenant et la méthode apprentissage et ses mécanismes.

A revenir de mouveae s'intéresser au système cognitif les acquis et la connaissance, les contenus de l'enseignement et ses méthodes d'apprentissage ….etc

Dans ce débat nous allons parler de la vraie image de l'enseignant et de dévoiler la vérité de discours théorique sur terrain.

مقدمة

إذا كنا نهتم بانتقاء من يصلح لمهنة ما، فإن الاهتمام يزداد خاصة إذا كنا بصدد انتقاء من يشغل مهنة التعليم التي تمثل أنبل وأشرف ممارسة حضارية، وعلى جانب كبير من الأهمية لكل من الفرد والمجتمع، بل إنها ضرورة لاغنا عنها لكيان كل منهما، حيث إن المجتمعات التي وضعت المعلم في المكانة اللائقة به حققت من خلال أدواره الفعالة التي يلعبها في مجتمعه تقدما في جميع جوانب الحياة، في حين نجد أن المجتمعات التي أهملت هذا العنصر الهام تعيش التخلف في مختلف المجالات، إذ يرى بعض المربين، إن من أسباب التخلف الحضاري والفكري الذي يصيب بعض الشعوب هو عدم تقدير المعلم حق قدره، ماديا وأدبيا، وتواضع مكانته الاجتماعية بين مواطنيه، وهذا أشار إليه الغزالي حينما قال من اشتغل بالتعليم فقد تقلّد أمرا عظيما وخطرا جسيما.

فالمعلم هو العنصر الأساسي من عناصر العملية التربوية، فهو الأكفأ والأقدر على نقل المعارف، وترسيخ الأعراف والعادات والتقاليد في نفوس الناشئة، وبالتالي فهو حامل رسالة جليلة من حيث أنه يبني وينشّئ الأنفس التي سوف تصبح يوما ما قادرة على إعطاء الكثير، فيكون بذلك هو الذي يقف خلف هذا العطاء، وذلك من خلال مختلف المهام والنشاطات التي يقوم بها في مجرى عمله التربوي.

فإذا كانت المدرسة مزودة بأفضل المقررات الدراسية والكتب المدرسية دون أن تكون مزودة بالمعلم المعدّ إعدادا مهنيا وأكاديميا جيدا، فإنها لن تحقق الأهداف التي أنشئت من أجلها، لكن بالرغم من كل هذا، فإن التوسع الكمي في التعليم اقتضى وجود فئة من المعلمين غير راغبة في مزاولة المهنة، أو غير قادرة على

ممارستها أصلا، أومن لم يؤهل لممارستها تأهيلا كافيا عن طريق التدريب العلمي، سواء قبل الخدمة أو أثنائها، وقد ينخرط فيها من يعتبرها جسرا يمر من فوقه إلى موقع آخر أو أكره على الانخراط فيها، لأنه لا يجد طريقا آخرا غيرها لكسب عيشه، وقد ينظر بعضهم إلى هذه المهنة بأنها دون طموحاته، فيتركها عند أول فرصة تتاح له تزيد من دخله، وقد يفضل دراسة تخصصات أخرى غير التعليم، فكل هذا جعل هذه المهنة تفقد الكثير من قدسيتها واحترامها في الوقت الراهن، بسبب النظرة الاجتماعية الحالية للمعلم والتي أصبحت دون المستوى عما كانت عليه في السابق كتدني مستوى الدخل فيها، وكذا تدني مركز المعلم الاجتماعي والاقتصادي، وبالتالي فقد ما كان يتمتع به في السابق من وضع اجتماعي مميز، ففي دراسة قام بها "مقبل نصر غالب" في الجمهورية العربية اليمنية حول مكانة المعلم العربي، أشار إلى أن كل البحوث التربوية تهتم وتعتني بل وتمجد دور المعلم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولكن هل نظروا إلى وضعه المادي؟ وهل يكفي مرتبه لسد حاجاته ومسؤولياته كغيره من موظفي الدولة؟ ويشير الباحث أن المعلم يصلها ليس عن قناعة ذاتية، ومادام الأمر كذلك فهو يتحين الفرص للهروب منها إلى مهن أخرى تدر عليه دخلا أوفر.

إن هذه الظروف التي يمرّ بها المعلم، قد ألقت بثقلها عليه فأفقدته المتعة في عمله والرغبة في المزاولة والاستمرار فيه والولاء له، وهذه أمور جوهرية وعناصر هامة لها أثرها الذي لا ينكر على إنتاج المعلم وعلى إثارة حوافزه واندفاعه في عمله.

1- الإطار النظري للدراسة:

1- 1- خصائص المعلم في التربية المعاصرة:

أشارت دراسات تربوية كثيرة إلى وجود علاقة إيجابية بين امتلاك المعلم لعدد من الصفات الشخصية والوظيفية ومدى فاعليته التعليمية، ويمكن تصنيف هذه الخصائص إلى فئتين رئيستين.خصائص شخصية عامة، وقدرات تنفيذية على هيئة واجبات وظيفية.ومن الأهمية التأكد على أنة كلما استطاع المعلم تحصيل هذه الصفات ودمجها في شخصيته،كلما تمكن من امتلاك أساليب تعليمية مؤثرة وممارسة قدرة توجيهية في العملية التعليمية داخل الفصل وخارجة، ومن ثم إحداث أثر بالغ في شخصيات الطلبة، أما المعلم فإن سعيه لامتلاك هذه الصفات ومثابرته لاكتسابها واحدة تلو الأخرى خلال إعداده النظري والعملي يعد مؤشرًا إيجابيًا كافيًا على رغبته في صياغة شخصيته التعليمية وتطوير ذاتيته الإنسانية،ومن ثم على العطاء والتأثير التعليمي الفعال. فالمعلم في التربية المعاصرة الذي يستطيع أن يقوم بوظائفه المتعددة ينبغي أن يتصف بعدة خصائص وهى كالتالي :

- الجانب العقلي والمعرفي: لما كان الهدف الأسمى للتعليم هو زيادة الفاعلية العقلية للطلبة ، ورفع مستوى كفايتهم الاجتماعية ، فإن المعلم يجب أن يكون لدية قدرة عقلية تمكنه من معاونة طلبته على النمو العقلي ، والسبيل إلى ذلك هو أن يتمتع المعلم بغزارة المادة العلمية ، أي أن يعرف ما يعلمه أتم المعرفة ، وأن يكون مستوعبًا لمادة تخصصه أفضل استيعاب. (1)

- الرغبة الطبيعية في التعليم: فالمعلم الذي تتوافر لدية هذه الرغبة سوف يقبل على طلابه وموضوعية بحب ودافعيه، كما سوف ينهمك في التعليم فكرًا وسلوكًا وشعورًا.ويشجعه على تكريس جل جهده للتعليم مهنة اختارها عن رغبة ذاتية يشبع من خلالها حاجات إنسانية واجتماعية لديه ، ويحقق من خلاله ذاته الاجتماعية والمهنية فيسعى للتعاون والابتكار لصالح المهنة. (2)

- الجانب النفسي والاجتماعي: إن المعلم الكفء هو الذي يتمتع بمجموعة من السمات الانفعالية والاجتماعية، ومن أبرز هذه السمات أن يكون متزنًا في انفعالاته وفى أحاسيسه، ذا شخصية بارزة، محبًا لطلبته، ملتزمًا بآداب المهنة، وأن يكون واثقًا بنفسه، وأن يحترم شخصية طلبته، حازمًا معهم، وأن يتصف بالمهارات الاجتماعية لأن المجتمع المدرسي مجتمع إنساني يقوم على التفاعل الاجتماعي بين أعضائه من طلبه ومعلمين وإداريين وموجهين وأولياء الأمور ويفرض هذا الواقع على المعلم التعاون معهم جميعًا والمحافظة على علاقات إيجابية فعالة. (3)

- الجانب التكويني: مهنة التعليم مهنة شاقة تقتضى بذل جهد كبير، فالصحة المناسبة والحيوية الجسمية تمثل شروطًا هامة لتحقيق ناجح ومفيد ، كذلك يتطلب من المعلم أن يكون واضح الصوت وأن يغير في نبراته ودرجة صوته حتى يوفر الانتباه الدائم من المتعلمين وحتى يتجنب الرتابة التي تؤدى إلى الملل وتشتيت الانتباه ، كما يجب على المعلم أن يحافظ علي مظهره الخارجي لما له من دور كبير في تقليد الطلبة له واحترامهم له. (4)

1- 2- دواعي التجديد والتحديث في التعليم

هناك ثلاثة عوامل كبرى تستدعي ذلك:

أولا: إننا نعيش عصر التغير السريع الدائم، وأحيانا المفاجئ، في كل مناحي الحياة بسبب الاكتشافات العملية الهائلة التي تعكس نفسها بسرعة مذهلة في تطبيقات تكنولوجية وتنظيمية تتطلب من الإنسان مواكبتها وفهمها واستعمالها بكفاءة من اجل أن يستطيع العيش في قلب عصره لا على هوامشه. إن العيش على هامش العصر سيعني أن يصبح الإنسان من المهمشين الذين يعانون الضنك وقلة الحيلة. ولا تقتصر تلك الحالة على الفرد وحده وإنما تنطبق كليا على المجتمعات والدول والأقاليم .والنتيجة لتلك التغيرات هي ثورات متعاظمة شديدة

في العلاقات الاقتصادية والأنظمة السياسية والاجتماعية وفي السلوكيات الثقافية وفي أنظمة التواصل المعرفية والإعلامية. وجميع تلك الثورات الوقت نفسه تدفع دفعا نحو انتقال العالم من المجتمع الصناعي إلى المجتمع ألمعلوماتي، من التكنولوجيا البسيطة إلى التكنولوجيا العالية المركبة، من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد الإقليمي والعالمي، من مساعدة المؤسسات للإنسان إلى اعتماده على الذات، من الاستقرار المالي الدولي النسبي إلى الهزات العنيفة المدمرة، من الإنسان المنتمي والمحمي من قبل وحدة اجتماعية إلى الإنسان الوحيد المغترب ضحية قوى كبيرة، وأحيانا خفية، لا يفهمها ولا تفهمه. وأخيرا من سوق عمل ووظيفة تتصفان بالاستقرار والأمان النسبي المعقول إلى أسواق ووظائف تتصف بالتغير الدائم في نوعيتها ومتطلباتها بحيث تموت الوظائف القديمة تباعا لتحل محلها وظائف جديدة بصورة دورية ولعدة مرات أثناء حياة الإنسان الفرد. ومع أن تلك الصورة المعقدة تنطبق كليا على المجتمعات المتقدمة فإنها تزحف بظلالها شيئا فشيئا على مجتمعات العالم الثالث النامية ومنها طبعا المجتمعات العربية.

ثانيا :العولمة، وعلى الأخص في شطريها الاقتصادي والثقافي حتى الآن. والتي على ما يبدو ستضيف قريبا الشطر السياسي.لقد أصبحت هذه الظاهرة قدرا لامناص منه،والحل لمواجهتها يكمن في ممارسة انتقائية متوازنة لفرز العناصر الايجابية للاستفادة منها عن العناصر السلبية من اجل الاستغناء عنها.إن العولمة التي تحاول أن تبني عالما من دون دولة ومن دون أمة ستضع مسئولية ممارسة الانتقائية السالفة الذكر على كاهل الفرد نفسه، وهي مسئولية ثقيلة جديدة لن يقوى على حملها إلا إنسان جديد يستطيع التعامل مع مؤسسات لم يتعامل معها من قبل في وطنه، مؤسسات الشركات المتعددة الجنسيات، والتي لها مطالب وعقلية وأنظمة بالغة التعقيد وغير مراقبة بما فيه الكفاية من قبل الدولة أو قوى

المجتمع. إن ساحة الصراع ستكون بين إنسان فرد اعزل وبين مؤسسات عملاقة ذات قدرات هائلة على تهميشه وإخراجه ألقسري من مجرى العصر العام المشترك بعد إن تنجح في محو ذاكرته التاريخية والقومية وتزييف وعيه الاجتماعي وفي فصله عن أمته، ووطنه.

ثالثا: هناك عامل ثالث يخص المجتمع العربي وحده ولكنه العامل الأهم الذي يتطلب التعامل مع إشكالاته البادئة بعملية تحديث وتجديد تربوية كبيرة وعميقة.هذا العامل الثالث يتمثل في تعثر إن لم نقل فشل المشروع النهضوي العربي بمكوناته الكبرى المعروفة وهي الوحدة العربية، والتنمية المستدامة المستقلة،والعدالة الاقتصادية والاجتماعية، والديمقراطية بكل أنواعها ومكوناتها، والتحرر والاستقلال الوطني والقومي،والتجدد الحضاري وخصوصا في الثقافة والقيم والمعرفة.

1- 3- بيداغوجيا المقاربة بالكفاءة في سياق تطوير مناهج التعليم

اعتمدت الإصلاحات الجديدة،على طريقة التدريس بالكفاءات،لكن ما معنى مقاربة التدريس بالكفاءات؟ وما هي أهدافها؟

تعريف لوي دانو Louis D'hannaut: " الكفاءة مجموعة من التصرفات الاجتماعية الوجدانية،ومن المهارات النفسية الحركية التي تسمح بممارسة لائقة لدور ما أو وظيفة ما." [5] أما جيليGilet:" الكفاءة نظام من المعارف التصورية والإجرائية منظمة في شكل تصاميم عمليات والتي تسمح داخل مجموعة وضعيات متجانسة بتحديد المهمة،المشكل وحله بفضل نشاط ناجح."[6]

ومن هنا فالتدريس بالكفاءات هو" تعبير عن تطور تربوي بيداغوجي يتطلب من الكفاءات المستهدفة في نهاية أي نشاط تعليمي أو نهاية مرحلة تعليمية،بضبط استراتيجية التكوين في المدرسة من حيث طرائق التدريس

والوسائل التعليمية وأهداف التعلم وانتقاء المحتويات وأساليب التقويم وأدواته." (7)

إن الاعتماد على التدريس بالكفاءات في الإصلاحات الجديدة يهدف إلى ما يلي:

- جعل التعليم يوظف المعلومات التي يتعلمها في وضعيات مختلفة، فتعلمه للغة مثلا يجعله قادرا على كتابة خطاب أو طلب،أو ملء استمارة حسب الوضعية المتاحة.
- إن توظيف المعلومات من طرف التلميذ، معناه التركيز على المتعلم وجعله مركز العملية التربوية، هنا يختلف عما سبق، بحيث أننا نتبع الوضعيات الملائمة لتوظيف المعلومات، وهذا ما تجلى في إنجاز المشاريع.
- إن التعلم في هذه الوضعية يجعل التلميذ لا يتعلم المعلومات لذاتها من أجل النجاح فقط، بل تتعدى المعلومات محيط المدرسة لتعالج مشاكل واقعية وفعلية تواجهه في حياته اليومية.
- الكفاءة تقاس بالنتائج القابلة للقياس والملاحظة وهي في شكل إنجازات وهذه الانجازات هي المشاريع التي يجريها التلاميذ بعد نهاية كل وحدة دراسية.

لماذا المقاربة بالكفاءات ؟

- جاءت المقاربة بالكفاءات لإثراء ودعم وتحسين البيداغوجيا، وليس للتنكر أو لمحو فن تربوي عمره سنوات طويلة.
- يفشل كثير من التلاميذ، بسبب عدم تمكنهم من تحويل المعارف،لأنهم يكتسبون معارف منفصلة عن سياقها، ومقطوعة عن كل ممارسة .
- من أجل تجذير المعارف في الثقافة والنشاط .

- لأن المعارف المدرسية لا معنى لها بالنسبة للتلاميذ ما دامت منفصلة عن مصادرها وعن استعمالاتها الاجتماعية. إذا فالمقاربة بالكفاءات تنشئ علاقات بين الثقافة المدرسية والممارسات الاجتماعية.

- إن المقاربة بالكفاءات تمثل ثورة تعليمية للمعلمين والأساتذة، وهي تتطلب بالفعل :

- وضع وتوضيح عقد تعليمي جديد .
- تَبني تخطيط مرن وذو دلالة .
- العمل باستمرار عن طريق المشكلات.
- اعتبار الموارد كمعارف ينبغي تسخيرها.
- ابتكار أو استعمال وسائل تعليمية مناسبة وهادفة .
- مناقشة وقيادة مشاريع مع التلاميذ .
- ممارسة تقويم تكويني في وضعيات العمل.

2- الإطار المنهجي للدراسة :

تمّ إجراء هذه الدراسة، بولاية أدرار، سنة2014 وقد دامت مدة عامين، على عينة منتشرة في واقع العمل، تجسد كتلة الأساتذة والمعلمين والبالغ إجمالي عددهم 254 معلما ومعلمة يدرّسون في عدة مستويات وموزعين على39 ابتدائية تابعة لثلاث مقاطعات إدارية، وهي: رقان، زاوية كنتة، فنوغيل، معتمدين على تقنيتي المقابلة والاستمارة في جمع المعلومات، مستخدمين المنهج الوصفي التحليلي لفهم وتأويل الأسباب الكامنة وراء الظاهرة.وهي عينة مقبولة حيث تمثل إلى حدٍّ كبير خصائص المجتمع الأصلي من حيث: السن، الخبرة، الجنس، المادة الدراسية، ومرجعية الوسط المتجانس- مجتمع شبه حضاري- في جغرافيته واجتماعيته وثقافته، مما يسقط مبدأ مراعاة الاختيار المقنن لأفراد

العينة.ولم ندخل في العينة أفرادا آخرين عاملين في التعليم ولهم وظائف أخرى غير التدريس، لأننا نؤمن بأن للمعلم وجهة نظر خاصة تختلف في حيثياتها عن وجهة نظر المدير في المدرسة أو المفتش أو العامل الإداري، ولا يوجد مبرر منهجي لإلغاء هذه الاختلافات.

2- 1- نتائج الدراسة:

"تعتبر قيادة التطوير نمط يبني الالتزام و يخلق لدى العاملين في المؤسسة التعليمية،الحماس والدافعية للتغيير، ويزرع لديهم الأمل بالمستقبل،والإيمان بإمكانية مساهمتهم في التخطيط للأمور المتعلقة بنموهم المهني وإدارتها، كما تعني قيادة الجهد المخطط والمنظم،للوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة للتطوير من خلال التوظيف العلمي للموارد البشرية والإمكانات المادية والفنية،."[8] غير إن نتائج الدراسة على ارض الواقع لا تجسد هذه الحقيقة،فالإصلاح المنشود لم يضع الميكانيزمات الحقيقية المتعلقة بالنمو المهني للمعلم الكفء الذي يمكنه خوض غمار المرحلة الراهنة،مما جعل التعليم مهنة مفتوحة بلا أسوار يعمل فيها أعداد كبيرة من غير المؤهلين بحكم الضرورة ويتكاثرون في المناطق النائية والقرى والمداشر، فأصبح التعليم يخضع للتوسّع الكمي دون اتخاذ التدابير المالية والفنية والبشرية اللازمة لمواجهة متطلبات التحسين الكيفي،مما فتح الباب لعناصر دون مستوى الكفاءة تبعا لشعار- نصف مدرس خير من عدمه- وأدّى ذلك إلي سياسة التساهل في القبول والتعيين والإعداد والتثبيت،بل وأكثر من ذلك أن مهندسو الإصلاح قد همشّوا المعلم ولم يشركوه في وضع البرامج والمقررات مع انه هو المعني الأول بذلك مما ولدّ لديه صيغة لا تسمح بتكوين التفكير النقدي لديه، وتخبطه في تناول الديداكتيك العامة والخاصة بمكونات المنهاج الدراسي،وامتدادا للتقشف في التعليم فإن

المعلـم يجد نفسه محاصرا في مهنـة مسدودة في مسالك ترقيتها، فقد يعيّن معلما ويتجمد في وضعه الوظيفي داخل مرحلته كمعلم ولا يرّقى لوظيفة اعلي تتمتع بسلطات مهنية وامتيازات مادية وأدبية، حيث لا يرقى في الغالب إلا حوالي 30% وتقضي الغالبيـة العظمي سنوات عمرها وهي تراوح مكانها، وحتى الترقيات فإنها تتم غالبا بمعيار الأقدمية المطلقة التي تسوِّي بين النشيط والخامل، وإذا كان للمعلم مقاومة فإنه يقاوم في نفس الطريق الذي انفتح أمامه للسير فيه، بحيث يمضي بإرادتـه مجسدا في سلوكـه ما يرمي به تهّكما ومجازا، فيتقبل لنفسه الإطار ألقيمي المشوّه، ويستخف بعمله ويتكاسل في تغيير وضعه ولا يبالي أن ينحرف في سلوكه وشعاره- أنا الغريق فما خوفي من البلل- "وإذا رمى المجتمع المعلم في شخصه فإنه لا يضير بعد ذلك أن يرموا مهنتـه بكل سوء فهي مصدر علته، فاعتماد سياسة الترقيع يدفع لإضافة شيء من هنا واقتطاع شيء من هناك دون أن تكون هناك أهداف واضحة وخطة عمل بارزة قابلة للرقابة، ومن هنا ندرك أن تكوين المعلمين أصبح إستراتيجية متكاملة، تشارك فيها قطاعات مختلفة، بحيث تكون الإرادة السياسية والإيمان بدور المعلمين خاصة، والتربية عامة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من العوامل الحاسمة التي تزيد من فعالية تكوين المعلمين وتدريسهم قبل تقلّد مناصب العمل وبعده، وأنه من غير المعقول أن نغامر بأجيال من التلاميذ بمعلمين لا نعرف مستواهم ولا اتجاهاتهم نحو مهنة التدريس." (9)

لقد حدثت في العشرين سنة الأخيرة تحول في المشهد التربوي، تمثل أساسا في تغيير الباحثين لمجالات اهتمامهـم وابتعادهم عن الخوض في العديد من المواضيع من مثل الأهداف التربوية، والنقاش الساخن حول موضوع السلطة والنظام داخل المؤسسات التعليمية، فاتجهت البحوث للانشغـال ببعض القضايا الجديدة

القديمة، من مثل قضية التمركز حول المتعلم وموضوع طبيعة التعلم وآلياته، والعودة للاهتمام مجددا بالمعرفة وبمحتويات التدريس وبالتنظيمات المنهجية لمضامينه وغيرها، مما ساهم في ظهور نماذج لمناهج جديدة،كما أن تطور التربية حاليا، يتميز بعودة الاهتمام بالعنصر البشري وبروز دوره بشكل جديد.إن ما يميز المخطط والإداري والمرشد والموجه والمعلم في وقتنا الحاضر،هو المواجهة المستمرة للمستجدات وللمواقف غير المتوقعة واتخاذ القرار،كما أصبح عملهم يتميز بالسعي الحثيث نحو تعديل السلوك والتكيف مع تحولات الواقـــع وضغوطات العمل اليومي ومسايرة في نفس الوقت ما يصيب المناهج التعليمية من تجديد وتطوير،غير أن الواقع الميداني ونتائج الدراسة تشير إلى أن المهنيون،لم يكسبوا رهان التفوق في هذه المواجهة ولم ينجحوا في استيعاب المستجدات ومسايرة مقتضيات تطوير المناهج و تحديث أساليب التخطيط والعمل بالشكل المأمول، ذلك لجملة من الأسباب الموضوعية التي جعلت المهمة صعبة التطبيق على ارض الواقع أهمها:

- الاغتراب النفسي الذي يشعر به المعلم جراء هذه التعديلات التي لم يكن مشاركا فعالا في بلورة صيَّغها، جعله يهرب إلى داخله وينطوي على نفسه،ميالا إلى العزلة، معتبراً أن وظيفته الأساسية نقل المعلومات وحشوها في أذهان الطلاب من خلال أساليب تلقينية قمعية وتسلطية، وذلك لإحساسه بالوحدة والعجز والتفاهة.فقد أثبتت الدراسة أن (58%) من المعلمين لهم إطلاع نسبي على الإصلاحات المتعلقة بالبرامج وهذا يعكس عدم اهتمام الفاعلين التربويين بالإصلاح، لان المعلم يريد إصلاحا يحس بأنه جزءا منه لا إصلاحا يمارس عليه نوعا من الاغتراب الذي يشعره بالوحدة والعجز والتفاهة مما يقتله معنويا قبل قتله فيزيقيا، ولأن تغلغل النظام التربوي في أعماق حياة الأمة الثقافية

والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية ووضعه منها موضع العمود الفقري في الجسم جعل عملية تبادل التأثير والتأثر بينه وبين مختلف مجالات الحضارة في حالة من التفاعل الوظيفي المستمر، وبهذا صار الإصلاح التربوي في غاية من التعقيد ؛ فأي خطأ يرتكبه المصلحون في أي مرحلة من المراحل النظرية أو الإجرائية تترتب عليه عواقب ومشكلات قد لا يكون من السهل تصحيحها بعد فوات الأوان، فما الفائدة من الحديث عن إصلاح المنظومة التربوية بدون إدخال المعلم ضمنه وبالتالي إعطاء الإصلاح المصداقية الفعلية والفعالية المنتجة.

- عدم مراعاة المقررات الدراسية لحاجات التلاميذ ورغباتهم، وخصائص نموهم الجسمي والعاطفي والعقلي، الذي يتّفق مع ميولهم واتجاهاتهم، إذ أن **70%** من المبحوثين يرون أن البرنامج الحالي يفوق قدرات التلاميذ العقلية، وإذا كانت كثافة البرنامج مؤثرة، فإن المحتوى لا يقل أهمية، فقد يجد التلاميذ الصعوبة في الاستيعاب بسبب طبيعة المادة ذاتها التي تفوق مستوى التلاميذ وليس في طريقة أو أسلوب التدريس، ويرى البعض أن التركيز على الأسلوب في عملية التدريس، هو في حد ذاته تركيز يُجانب الصّواب، ذلك أن طبيعة المادة التي تعلمها ومحتوى هذه المادة هو العامل الأهم في عملية التدريس وتفوق الأسلوب في أهميتها لأن التدّرج والتسلسل الغير السليمين في محتوى المادة المدرّسة قد لا يمّكن الطفل من بناء تراكم معرفي يمكّنه من استيعاب محتوى المادة بشكل سلسٍ وسهل مما أدى ضعف تحصيلهم.

- عدم توّفُر البيئة المدرسية التي تحاول ربط المواد النظرية بالتطبيقية العملية في الحياة، جاعلةً من البيئة المادية والاجتماعية مصدراً للتعلم. ويمتد التقشف بكل أسوائه إلى بيئة العمل في كل جنباتها الفيزيقية والسيكولوجية والبيداغوجية، وهذا ما عبرت عنه نسبة **64%** من المبحوثين، فالمدرسة تُهمَل في

صيانتها من حيث تجديد مبانيها ودهاناتها وتجميلها وتجهيزها، والصفوف مكتظة بتلاميذها، ولا وجود لأيِّ نشاط مسرحي أو فني لممارسة الهويات، وليس غريبا أن نجد أكثر من عشرة معلمين ليس لهم حجرة عامة بالمدرسة. وبيئة مدرسية مثل هذه تفقد كل مقومات الجاذبية في مادياتها ومعنوياتها، تصبح بيئة منفرّة لا تحبب في العمل ولا تبعث على الجد وتخلق عند المعلم نفسية كارهة أو سقيمة، لا تجد أمنها وسعادتها إلا خارجها وبعيدا عنها.

- عجز برامج التدريب عن تزويد المعلم بمهارة التعلم، فحقيقة الواقع تشير إلى أن 90% من المبحوثين يرون بان إعداد المعلم مهنيا لم يرقي إلى المأمول، وذلك لتهميش دور المعلم في المشاركة في اتخاذ القرارات التربوية أو المشاركة في تصميم المناهج وبنائها وفي قرارات النجاح والرسوب، وحرمانه من البعثات والدورات التدريبية التي تشحنه بالمعرفة والخبرة، حتى صار حقل التعليم يؤوي من لم يجد مجالا للتوظيف في غير التعليم، وإن حاول المشرفون على التعليم أن يساعدوا هؤلاء المقبلين على التعليم بغير تأهيل، بتدريبات قصيرة المدى قصد إسعافهم بالضروري من المعارف للأداء البيداغوجي، فإن اللجوء إلى هذا الحل لمواجهة كثرة طلب المعلمين نتيجته سدّ فراغا من ناحية الكم، شكّل هوة سحيقة من الناحية النوعية،كما أن طرق إعداد المعلمين، وتهيئتهم لإعطاء الدروس داخل قاعات الدرس، هي طرق في أغلب الحالات غير مجدية، وفي حالات أخرى بعيدة كل البعد عن تجارب المعلمين واحتياجاتهم، إن عدم الجدوى هذا يفسر غالبا بوجود هوة بين نظرية التدريس والممارسة العملية. الأمر الذي يجعله غير قادر على متابعة التغيرات التي تطرأ علي محتويات المنهج نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي في العصر الحديث، وأن الجانب العلمي التطبيقي لا يحظى بالقدر الكافي من الاهتمام حيث التركيز علي

الجانب النظري فقط بسبب كثرة الطلاب الأمر الذي ينعكس علي المعلم أثناء تأدية أدواره في عملية التعلم، وكذلك ضعف التنسيق بين الجوانب الأكاديمية والثقافية والمهنية للبرنامج، مما ينعكس سلبًا علي عملية الإعداد، ويصبح البرنامج كأنه مجموعة من المواد المنفصلة، بالإضافة إلي استخدام الأساليب التقليدية القديمة في تقويم الطلاب.

كل هذه الأسباب وغيرها جعلت المعلم يعاني صعوبات جمة، داخل الفصل الدراسي في ظل الإصلاحات المنشودة التي جاءت بنصوص نظرية حديثة، لكنها تجسد في بيئة مدرسية ذات طراز كلاسيكي.

"إن المعلم أمة في رجل، ومهنة التعليم تحوطها هالة من القداسة منذ القدم، فهي مهنة الأنبياء والرسل، وحيثما كان يذكر المصلحون الاجتماعيون كان المعلمون يأتون في رأس القائمة، والموروث الأدبي والشعبي في ذاكرة الأمة مليء بالشواهد والأدلة على ذلك، ومما يزيد من أهمية دور المعلم في وقتنا الحاضر أن وظيفته لم تعد تقتصر على نقل المعلومات إلى المتعلمين، بل إنها أصبحت تتطلب منه ممارسة دور القيادة والتخطيط للتدريس وتصميمه والإشراف عليه والبحث العلمي، والتشكيل الأخلاقي والثقافي لشخصيات المتعلمين، هذا هو الوضع الصحيح والسوي." [10] لكن المتأمل لأوضاع المعلم في الوقت الراهن لا يعجزه أن يرى بوضوح مكانة المعلم وهي تتصدع ويعتريها الذبول، فمن يأخذ على عاتقه مسؤولية تحليل هذه الأوضاع يستطيع أن يلمح بجلاء مظاهر عدم التكيف التي تدل على عدم الرضى الوظيفي للمعلم ومنها:

- ارتباط مسألة الاحترام والتقدير الاجتماعي للمهنة بمقدار ما يكسبه صاحبها من مال وثروة، فنسبة36% من المبحوثين عبروا عن الصور الرديئة والتعيسة والغير المحترمة والتي تعكس في سلبيتها حال المعلمين الذين لا يرغبون في

التدريس ولا يرضون عن وضعهم الوظيفي ولا يحبون أن يظهروا في صورة معلم الذي أصبح من بين كل المهنيين موضعا للسخرية والاستهزاء وقد شاعت عنهم مقولات نمطية تجسد صورا هزلية أو كاريكاتورية سواءً في الصحافة أو السينما تصورهم على أنهم دون مستوى الكفاءة في عملهم الخاص ودن مستوى الكمال في حياتهم العامة مما يسيء إليهم ويترك تأثيرات سلبية في نفوسهم.أما نسبة 14% من المعلمين لم يقدموا إجابات واضحة يُستدل بها على نوعية الصورة المهنية في المجتمع، وربما يعزى ذلك إلى جهل المعلم بمفهوم الذات وصورتها المهنية لديه، أو إلى رغبة في إخفاء صورة يسبب له الإعلان عن ملامحها حرجا أو إحراجا فالناس في مجتمعاتنا باتوا لا يحترمون غير الأغنياء وأصحاب الثروات، ولما كان المعلمون من أقل الناس إيرادا ماليا فإنهم ولاشك سيكونون الأقل احتراما وتقديرا من قبل أفراد المجتمع، وهذا وضع مغاير لمنطق الأشياء.

- إن توقف بعض المعلمين عن التنمية الذاتية لأنفسهم بالقراءة والاطلاع ومتابعة التحصيل الجامعي، لدرجة أن الواحد منهم لم يعد يقرأ كتابا واحدا في السنة، هذا التوقف عن التنمية الذاتية يؤثر سلبا على مكانتهم العلمية، ويفقدهم تقدير المجتمع إلى حد كبير.

- نظرة الجهات الوصية للمعلم على أنه مجرد رقم في كشوف معلميها إذ لا تفرق بين هذا المعلم وذاك، فالترقيات والامتيازات تحكمها سنوات الخدمة لا الكفاءة والقدرة، لهذا تجد كثيراً من المعلمين يفتقرون لحافز التطوير والبذل والعطاء لأنهم في النهاية سيقفون جميعا سواسية أمام مسطرة تقيّيم صماء بكماء كل همها أن تكبح جماح المطالبة بالترقيات وتحسين المستويات وكأن معركة الوزارة الحقيقية ليست مع الجهل وتحديات التعليم وإنما مع حقوق معلميها.

- بروز مهن أخرى في المجتمع تكسب أصحابها مالا وجاها وحصانة واحتراما كالطب والهندسة والمحاماة،مثل هذه المهن خطف بريقها احترام المعلمين وتقديرهم، وجعلهم إلى حد ما دون غيرهم في النظرة،وبات لا يعبأ بهم أحدا، لا في الاستقبال ولا في التوديع أو التشييع.

- تردي الأوضاع المادية للمعلمين تجبر كثيرا منهم على الانجرار وراء هوس البحث الدائم عن الثروة على حساب القيم الإنسانية التي يفترض بهم أن يناضلوا من أجلها،فتراهم يمارسون أعمالا إضافية لا تليق بمركزهم العلمي والاجتماعي، وإلا ما معنى أن يعمل بعض المعلمين خارج أوقات عمله بائعا أو سائقا أو سمسارا في السوق، أو مدرّسا خصوصيا يطرق أبواب بيوت الطلبة عارضا بضاعته عليهم، وملتمسا فتات رزقه من بقايا موائدهم.

- تطاول وسائل الإعلام المختلفة وعلى رأسها القنوات التلفزيونية على المعلمين، وسخريتها منهم في أفلامها ومسلسلاتها ومسرحياتها، وتصويرهم في أسوأ حال، هذا التطاول وهذه السخرية تضعف من هيبة المعلمين أمام طلبتهم وأمام أفراد المجتمع.

- تخلي المؤسسات التربوية والحكومات عن دعم المعلم وحمايته ومؤازرته، ثم حرمانه من بعض الامتيازات المادية والمعنوية التي تشد أزره، كل هذا يضعف ثقة المعلم بنفسه، ويزلزل مكانته ويقوضها ويهمشها، ويجعل المعلم عرضة للاعتداء والتجريح من قبل الجهلة وضعاف النفوس من الناس.

- تدني رضا المعلم عن واقعه المهني ينعكس سلبا على نفسيته، فيسيطر عليه دائما شعور بالإحباط وخيبة الأمل، ويحس بأن آماله ومشروعاته في مهب الريح، وأنها غير قابلة للتحقيق.

هذا هو الواقع المرير والمتأزم الذي تعيشه طبقة المعلمين، وهذه هي الأسباب والمظاهر التي تؤدي إلى عدم الرضى والتي تجعل المعلم يغرد بعيدا خارج السرب، فلا يأبه لغنائه ولا لنواحه أحد من عشاق الثقافة الجديدة، ولن يتغير هذا ما لم يتولد لدى المعلمين أنفسهم شعور من الثقة بالنفس، وإحساس بالإباء والاعتزاز.

قائمة المراجع:

(1)- شوق محمود - سعيد محمد مالك (.معلم القرن الحادي والعشرين) اختياره- إعداده- تنميته) في ضوء التوجهات الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، 2001 ص251

(2)- الخميس، السيد سلامة، التربية والمدرسة والمعلم- قراءة اجتماعية ثقافية، الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000 ص123

(3)- بهاء الدين، حسين كامل ،التعليم والمستقبل، القاهرة: دار المعارف، 1997 ص356

(4)- مصطفى، عبد السلام ، أساسيات التدريس والتطوير المهني للمعلم، القاهرة: دار الفكر العربي2000 ص218

(5)- وزارة التربية الوطنية، الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الأولى من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، جويلية، 2003 . ص، 129.

(6)عبد العزيز عميمر: مقاربة التدريس بالكفاءات، دار شالة للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون طبعة، 2005.ص12

(7)- وزارة التربية الوطنية، الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الأولى من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، جويلية، 2003 .ص36

8- http://www.anfasse.org/portail/index.php?option=com

(9)- عبد الله جمعة الكبيسي، بدرية مبارك العماري، محمود مصطفى قمبر، المكانة الاجتماعية للمعلم، الدوحة، دار الثقافة، 2001 ص98